تحديات العولمة للشّباب ومواجهتها في ضوء السيرة النبوية

Youth and way out to encounter the challenges of globalization in the light of Seerat-un-Nabi

الدكتور عبد الحميد عبد القادر خروب*

ABSTRACT

Challenges are part of the ways of life, and the Islamic world is suffering of the rupture and differentiates internal conflicts, and the chaos of thought and delayed civilization.

The most prominent of these challenges, which the Islamic world is facing, is the phenomenon of globalization. Which included the three worlds, and sought to dominate them, and melt the people's properties and this is what precipitated the emergence of numerous drawbacks, and the researcher specially mentioned, negative aspects of identity, ethics and the environment. Young people who are the hope and asset of this nation are able to turn dreams into realities, and hopes to practical projects, and ambitions to the visible achievements. They are worthwhile, and the most capable and powerful to meet these challenges. If they grasp the necessary requirements that qualify and stables them to face it and take advantage of its goodness, and avoid disadvantage. But if they stationed, and failed to do their duty, they offered loss and destruction to themselves and nation.

Curriculum should be prepared in accordance with the system of Islamic values, which are the individual configuration integrated, in belief, thought, and behavior, and attention to the development of the curriculum, and make it combines tradition and modernity, and the distinction between fixed and variable, and have superior mental abilities.

All these issues are addressed in this research the negative impact of globalization on the environment, ethics and then showed the importance of taking care of the human development of young people, through various training programs that earn young people skills, science, and sophisticated learning methodical thinking, proper planning, and positive participation in society, and carry responsibility, and foster in them the ability to dialogue and to develop in them the spirit of creativity and scientific research and rational dealing with crises, and tribulations, and the ability to solve problems and meet the challenges of globalization.

Keywords: *Youth, Globalization, Challenges, Muslim ummah, Islamic teaching*

* أستاذ مساعد، قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

مقدّمة

الشّباب ظاهرة بارزة في كلّ المجتمعات الإنسانية، وهم فئة عمرية، تتميّز بعدد من الخصال البيولوجية، والقدرات النّفسية والاجتماعية، ومرحلة الشّباب أخصب مراحل عمر الإنسان وأجملها، فهي مرحلة القوّة، والنّشاط، والإنجاز والعطاء والإنتاج، والتغيير، والشّباب هم الثّروة الحقيقية للأمّة، وذخرها، وطاقتها، وأملها، ومصدر عزّها، ورصيد جميع مؤسّساتها الحكومية، والحزبية، والخيرية، ومنظّمات المجتمع المدني، وإذا أردنا أن نعرف مستقبل أي مجتمع، فلننظر إلى شبابه، فصلاح الشّباب، صلاح للأمّة في حاضرها ومستقبلها، و"هم السّاق الجديد في بناء الأمّة، والدّم المجدّد لحياتها والامتداد الطبيعي لتاريخها، وهم الحلقات المحقّقة لمعنى الخلود الذي ينشده كل حيّ عاقل ويتمنّاه، حتى إذا فاته في نفسه التمسه في نسله"[١].

وفي سطور هذا البحث محاولة لتوضيح مفهوم الشباب وأهميته، ورصد أخطر التحديات التي تواجهه، وتعرقل عملية تربيته وتعليمه، وتبعده عن تحقيق أهدافه السامية، وقد جعلت الحديث عن هذا الموضوع في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة ذكرت فيها أهمّ نتائج البحث، والتوصيات المهمّة، وقد تضمّن البحث مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، والمباحث هي:

المبحث الأوّل: أهمية الشّباب.

المبحث الثاني: تحدّي العولة للهوية

المبحث الثالث: تحدّي العولمة للأخلاق

المبحث الرابع: تحدّي العولمة للبيئة

المبحث الخامس: دور الشّباب في مواجهة تحديات العولمة.

المبحث الأوّل: أهميّة الشباب

لقد اهتمّ الإسلام بالشّباب اهتماماً بالغاً، وحرص كلّ الحرص على تنشئته تنشئة إيمانية، وتوجيهه إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وقد ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم، نماذج من الشّباب المعتزّين بولائهم لدينهم، الحريصين على العلم النّافع، والعمل الصّالح، كيف سعوا بعزم ونشاط وحكمة، لتغيير الواقع المرير الذي أفرغت فيه الأديان من محتواها الحقيقي، واختلطت فيه الحقائق بالخرافات والأساطير، وتنوّعت فيه الآلهة التي لاتحصى، حتى صار اقتناء الوثن روح التديّن، فقال تعالى عن النّبي إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٢]، وقال عن أصحاب الكهف:﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

---

(١) الإبراهيمي، الدكتور أحمد طالب، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى:١٩٩٧م، ٢٦٧/٤

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٠

آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[١]، وقال سبحانه عن قوم موسى عليه السلام:﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢]، والذرية: هم الشّباب"[٣].

وقد أولى الرّسول ﷺ عناية كبيرة بالشّباب، ولا غرو في ذلك، لأنّ جلّ الذين آمنوا به، واتّبعوه، وأيّدوه، وناصروه وضحّوا بأنفسهم في سبيل الله تعالى، هم من الشّباب، وكان النّبي ﷺ يربّيهم على العقيدة الصّحيحة، ويعلّمهم ما ينفعهم ويرشدهم إلى مافيه صلاحهم، وصلاح أمتهم، وهذا ابن عمّه عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، قال : كنت خلفت رسول الله ﷺ يوما فقال «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[٤].

وكان ﷺ يستشير الشّباب، ويقدّرهم، ويحترمهم، ويعرف لهم مكانتهم، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟»، فقال الغلام والله يارسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال فتله[٥] رسول الله ﷺ في يده[٦].

وبشّر النّبي ﷺ الشّباب النّاشئ على طاعة الله تعالى، بالمقام الرّفيع يوم القيامة، فقال: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ بعِبَادَةِ اللَّهِ...»[٧].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣ -١٤

(٢) سورة يونس، الآية:٨٣

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية:١٩٩٩م، ٢٨٧/٤

(٤) الترمذي، محمّد بن عيسى، أبو عيسى، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث: ٢٥١٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦٦٧/٤، قال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني : صحيح.

(٥) فتله: "وضعه في يده"، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، غريب الحديث، تحقيق: د.عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:١٩٨٥م، ١١١/١

(٦) البخاري، محمّد بن إسماعيل، أبو عبدالله، الجامع الصّحيح، كتاب المظالم، باب إذا أذن له وأحله ولم يبين كم هو، رقم الحديث: ٢٣١٩، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٨٧م

(٧) صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب فضل من ترك الفواحش، رقم الحديث: ٦٨٠٦

كما أنّه ﷺكان يشفق عليهم، ويقدّم لهم التوجيهات اللازمة لضبط حماسهم واندفاعهم، فقد أمر عبد الله بن عمرو أن يضبط حماسه، ولا يشقّ على نفسه، لما بلغه أنّه أبدى مبالغة شديدة في العبادة، حتى أنّه كان يصوم ولايفطر ويصلّي باللّيل، فقال له ﷺ : «فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا»(١).

وحذّر الرهط الثلاث من الحماس الشّديد الذي لا ينضبط بالشّرع، ولا يتناسب مع سنّهم، لما فيه من المشقّة، والغلوّ فعن أنس بن مالك ﷺ قال:جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبيﷺ يسألون عن عبادة النّبي ﷺ، فلمّا أخبروا كأنّهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النّبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنيّ أصلّي اللّيل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء إليهم رسول اللهﷺ فقال: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

ولقد جاءهﷺ يوما فتية آمنوا بربهم ليعلّمهم أمور دينهم، فمكثوا عنده ليالي، فلمّا سألهم عن أهاليهم أخذته الرّأفة بهم وأشفق عليهم، رغم قصر مدّة فراقهم، فأمرهم بالعودة لديارهم، وتعليم أهاليهم القدر الذي تعلّموه منه، روى البخاري بسنده عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: أتينا النّبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة فظنّ أنّا اشتقنا أهلنا وسألنا عمّن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً، فقال: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(٣).

والشباب لغة: (شبّ) الشين والباء أصلٌ واحد يدلُّ على نَمَاء الشيء، وقوّته في حرارةٍ تعتريه، من ذلك شَبَبْتُ النّارَ أَشُبُّها شَبّاً وشُبُوباً، وهو مصدر شُبَّت، وكذلك شَبَبْتُ الحرب، إذا أوقدتَها. فالأصل هذا، ثم اشتقّ منه الشّباب، الذي هو خلاف الشَّيْب، يقال: شَبَّ الغلامُ شَبِيباً وشَباباً، وأَشَبَّ الله قَرْنَهُ، والشَّبَاب أيضاً: جمع شابّ، وذلك هو النَّماء والزيادةُ بقوّة جسمِه وحرارته"(٤).

اصطلاحا: الشّباب مرحلة من مراحل عمر الإنسان، تبدأ من البلوغ، وتنتهي عند الثلاثين سنة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصّوم، باب حق الأهل في الصّوم، رقم الحديث: ١٩٧٧

(٢) نفس المصدر السابق ،كتاب النّكاح، باب الترغيب في النّكاح، رقم الحديث: ٥٠٦٣

(٣) نفس المصدر السابق ،كتاب الأدب، باب رحمة النّاس والبهائم، رقم الحديث: ٦٠٠٨

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ١٧٧/٣

قال الإمام النّووي: " الشّاب عند أصحابنا هو من بلغ ولم يجاوز ثلاثين سنة"[(١)]

التحدّي لغة: (حد) الحاء والدال أصلان: الأوّل المنع، والثاني طَرَف الشيء، فالحدّ: الحاجز بَيْنَ الشَّيْئين"[(٢)].والمحادَّة المخالفة ومنعُ ما يجب عليك"[(٣)].

اصطلاحا: الصّعوبات والعوائق التي تواجه الإنسان، لتصرفه عمّا هو ثابت عليه، وتمنعه من تحقيق مشاريعه وفق مراداته.

العولمة لغة: عولمَ يعولِم، عولمةً، فهو معولِم، والمفعول معولَم، عولم النِّظامَ جعله عالميًّا يشمل جميع بلدان العالم، و**عولمة**: مفرد، مصدر عولم"[(٤)].

العولمة اصطلاحا:"حرّيّة انتقال المعلومات وتدفُّق رءوس الأموال والسِّلع والتِّكنولوجيا والأفكار والمنتجات الإعلاميّة والثَّقافيّة والبشر أنفسهم بين جميع المجتمعات الإنسانيّة حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد أو قرية واحدة صغيرة "ترفع الشركات العملاقة شعار العولمة لتستطيع التَّوغّل داخل جميع الدّول بلا قيد"[(٥)].

ويعرّفها محمد عابد الجابري بقوله: هي "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع"[(٦)].

والعولمة هي: "منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السّلوك ومناهج الحياة، يراد بها إكراه العالم كلِّه على الاندماج فيها، وتبنّيها، والعمل بها والعيش في إطارها"[(٧)].

وبناء على ما تقدم، فيمكن تعريف العولمة بأنّها التواصل المفتوح بين دول العالم في جميع المجالات، بلا رقابة ولا قيود ولا حدود، وتعميم نمط حضاري واحد على العالم.

---

(١) النووي، يحيى بن شرف بن مري، أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ، ١٧٣/٩

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/٢

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠/٣

(٤) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، ١٥٧٨/١

(٥) نفس المرجع السابق، ١٥٧٩/١

(٦) الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، دار المستقبل العربي، بيروت، ١٩٩٨م، العدد:٢٢٨، ص:١٣٧

(٧) محسن عبد الحميد، العولمة من منظور إسلامي، صفحة الإسلام وقضايا العصر، موقع شبكة الإسلام على الطريق، تاريخ الإضافة: ٢٠٠١/٠٧/٢٢م، الرابط: (https://archive.islamonline.net/?p=10327)

المبحث الثاني : تحدّي العولمة للهوية

اهتمّ الباحثون منذ منتصف القرن الماضي، بظاهرة العولمة وهي في مهدها، وتباينت مواقف المجتمعات منها، وخاصّة في القرن الحالي، الذي تجلّت فيه تأثيراتها الكبيرة على الهوية، حيث اعتبرتها بعض المجتمعات نوعا من الغزو الثقافي، بعد أن تأكّد لديها أنّها تقوم بمحو خصوصيات هويتها، والتمكين لهيمنة القيم والمبادئ والثقافة الغربية، وفي الطرف المقابل لهذا الموقف، رحّبت بعض المجتمعات بالعولمة، ورأت فيها أمرا إيجابيا، يتجاوز العادات والتقاليد البالية، ويأخذ بيد المجتمع نحو التقدّم والتطوّر.

والحقيقة أنّ العولمة ليست خيراً خالصاً، ولا شرّاً محضاً، ومحاربة العولمة، والانغلاق على الذات، ليست بالوسائل المجدية التي نحقّق بها حصانتنا، وتقدّمنا، بل ينبغي أن نجيد التعامل معها، من خلال فهمها، والمنافسة في الريادة، لمنع الغرب من الهيمنة الأحادية في العالم، وصرفه عن تغيير الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الإنسانية، والإحالة بينه وبين إشاعة قيمه وثقافته، التي يسعى لفرضها عبر القنوات الفضائية،، وشبكة الانترنت، والأجهزة التكنلوجية المتضمّنة للبرامج المروّجة لفكره، والتي لا تخضع لمراقبة الدولة، ولا تقف أمامها الحدود الجغرافية.

وقد بدت تأثيرات العولمة على الهوية واضحة، وخاصة على الشّباب، الذي انتقل من العالم الواقعي الذي يشعر فيه باليأس والإحباط، إلى العالم الخيالي الذي صنعته له العولمة، وأغرته به، وزيّنت له الحياة فيه، ظنا منه أنّه سوف يحقق له هذا العالم أحلامه التي يتطلع إليها، فإذا بهذه العولمة تغرّب ذاته، وتميّع شخصيته، وتزهّده في ثقافته، وتسلبه هويّته وتجعله متشبّثا بنمط الحياة الغربية! في فكره، وأخلاقه، وأذواقه!، قال وزير العدل الفرنسي جاك كوبون: "إنّ شبكة المعلومات الدولية بالوضع الحالي، شكل جديد من أشكال الاستعمار، وإذا لم نتحرّك فأسلوب حياتنا في خطر، وهناك إجماع فرنسي على اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة لحماية اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية من التأثير الأمريكي"(١).

إنّها تحدّيات صعبة، تقف في طريق الشّباب لتثبّطه عن عمارة الأرض، بالإيمان والعمل الصّالح، وهذه التحدّيات لقيت ردود أفعال قوية من علماء ومفكري الأمّة الإسلامية، واستثارت همم طاقاتها، وأيقظت فيها أجهزة الحماية، والإنذار التي وقفت في مواجهة سلبيات العولمة على الهوية، والأخلاق، والبيئة، وتحقّقت بموجبها ثنائية التدافع التي هي سنّة من سنن الحياة، حيث أنّها تحفظ العالم من الهيمنة الأحادية، التي يدفعها الغرور، إلى التسلّط، والتجبّر، والطغيان، والفساد في الأرض، وبالتدافع يتمّ تمييز الحقّ من الباطل، والخير من الشّر، والحقائق من الأوهام، والصدق من الكذب، والهدى من الضّلال،

---

(١) الحاجي، محمد عمر، العولمة أمام عالمية الشريعة الإسلامية، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الأولى:١٩٩٩م، ص:٥١

والظّلمات من النّور، ويجعل النّاس على بصيرة من أمرهم، قال الله تعالى:﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾(١).

ومن أهمّ تحديات العولمة للهوية، سلبياتها المتعدّدة المتمثلة فيما يلي:

١– إشاعة المعتقدات والأفكار الأيدلوجية الغربية

لقد استغلّ الغرب العولمة، في نشر معتقداته، والتشويش على العقيدة الإسلامية، بإحياء تراث الفرق الضالة، وتمجيد التصوّف الفلسفي، ونشر الشّبهات حول القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، والسّيرة النّبوية، وتشويه الأعراف والتقاليد السّائدة في العالم الإسلامي، وتفريغ المناهج التعليمية من القيم الإسلامية، وتعميم الفكر العلماني، ويريد منّا تغيير قناعاتنا، والاستسلام له، وتبنّي نظرته للإنسان، والحياة، والكون، مستخدما في ذلك أساليب مختلفة منها: الدّعوة إلى الحوار والتقارب بين الأديان، والحضارات، واحترام التنوّع الثقافي، وإصدار القوانين والمواثيق الدولية التي تعتبر الخطاب الديني خطاب فتنة ومصدرا للإرهاب، ورفع شعار حقوق الإنسان، الذي تمّ بموجبه سنّ قوانين تبيح مخالفة فطرة الإنسان وجميع الأديان السّماوية، وحشد الخطابات والبرامج الفكرية التي تقدّم انطباعات سيئة عن مميّزات الشخصية الإسلامية حيث تعتبر الشّباب الملتزم متعصّبا ومتخلّفا، وتنوّه بالشباب المتغرّب، وتعدّه معتدلا، ووسطيّا متحضّرا، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فشجّعت على الردّة، تحت مسمّى الحريّة الشّخصية، ودعت المجاهرين بها إلى الهجرة إلى الغرب، الذي آواهم واستقبلهم بحفاوة كبيرة، وأقام لهم النّدوات، والمؤتمرات الصّحفية، وعرضها في جميع وسائل التكنلوجيا الحديثة في البثّ والنّشر، وقدّمهم فيها باسم أبطال الحريّة، والدّفاع عن حقوق الإنسان!.

٢– الاستخفاف بقيم الإسلام

سعت العولمة بكل الطرق، لتذويب إرادة الأمّة الصّامدة في وجهها، ودكّ حصونها المنيعة، بجيوشها الجرارة، من الأفكار والآراء التي تشوّه حقائق الإسلام، وتستخفّ بتعاليمه، وتشكّك في عقيدته، وتصف أحكامه وتشريعاته، بالوحشيّة والتخلّف، والرّجعية، وتحاول صياغة فكرنا في بوتقة القيم الغربية، والنيابة عنّا في التفكير لنا، ورسم خريطة مستقبلنا

إنّ السيول الجارفة من الزيوف والأكاذيب التي لا تتوقّف عن اتهام الإسلام بالباطل، رسمت له صورة مغايرة عن حقيقته في الأذهان، لزرع الشكّ في نفوس أتباعه، وصرف النّاس عنه، وبناء حواجز تحمي الإنسان الغربي من التأثر به، وهذا يعني أنّ الشّعارات المرفوعة التي تنادي باحترام التنوّع الثقافي، وخصوصيات الشّعوب، إنّما هي شعارات للاستهلاك والتلهية.

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥١

٣– نشر ثقافة الاستهلاك

أصبح العالم الإسلامي في ظلّ العولمة، سوقا استهلاكية لما ينتجه الغرب من سلع وأفكار، وهذه الظاهرة السّلبية، أثّرت بشكل مباشر على الأفكار، والمشاعر، والسّلوك، فاتجه المجتمع نحو التكديس لكلّ شيئ، وتسابق النّاس في الاستهلاك وأصبح التملّك لغير حاجة، نزعة اجتماعية، يتباهى بها النّاس، وتسهم في تقييم الفرد، وتعزيز مكانته الاجتماعية وغدت ثقافة الاستهلاك منهجا تربويا في حياتنا، يربّي عليه الأطفال من خلال الاستجابة لرغباتهم أو صرفهم عن المنتوجات المحليّة، واقتناء المنتوجات الغربية، في الأدوات المدرسية، والملابس، والألعاب الترفيهية، مع الإسراف في استهلاك البضائع من غير حاجة ضرورية، بل فقط من أجل الظّهور، ومواكبة الموضة، واستخدمت وسائل الإعلام، أساليبها المتنوّعة، في الترويج لها، والدّعاية إليها، لترسيخ ثقافة الاستهلاك، وجعل شعوبنا، زبونا مدمنا لما تنتجه أمريكا التي تسعى لتعميم قيمها، من خلال":

١ – قرية المواصلات الأمريكية .

٢ – وحدة السّوق الأمريكية.

٣ – حضارة الاستهلاك الأمريكي .

٤ – وحدة النّمط المعيشي.

٥ – الديمقراطية الأمريكية"(١).

وهذه الأهداف التي خطّطت لها أمريكا، بيّنها العالم الأمريكي ناعوم تشومسكي بقوله: "إنّ العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزّز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كلّه"(٢).

وأكّد الرّئيس الأمريكي بيل كلينتون على أنّ بلاده تسعى بكلّ جدّ لتحويل العالم إلى صورتها، فقال:"إنّ أمريكا تؤمن بأنّ قيمها صالحة لكلّ الجنس البشري، وإنّنا نستشعر أنّ علينا التزاماً مقدّساً لتحويل العالم إلى صورتنا"(٣).

وهذا الإصرار على عولمة الثقافة، شعرت بعض الدّول الغربية بخطورته عليها، فقاومته بشدّة، ففي اجتماع اليونسكو بالمكسيك، وجّه وزير الثقافة الفرنسي انتقادا لاذعا، للعولة الثقافية، فقال:" إنّي أستغرب أن تكون الدّول التي علّمت الشّعوب قدراً كبيراً من الحرية، ودعت إلى الثّورة على الطغيان، هي التي تحاول أن تفرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم أجمع...إنّ هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية

---

(١) محمد أمحزون، الدكتور، العولمة بين منظورين، مجلة البيان، العدد: ١٤٥، رمضان ١٤٢٠، ص:١١٨

(٢) المرجع السابق، ص:١٢٥

(٣) المرجع السابق، ص:١١٨

والفكرية، لا يحتلّ الأراضي، ولكن تصادر الضّمائر، ومناهج التفكير، واختلاف أنماط العيش"(١).

ونتيجة لهذه الظّاهرة، خمدت روح المبادرة في نفوسنا، وأسدل التقاعس ستاره على مشاعرنا، وتغلغل العجز عن الإنتاج إلى تفكيرنا، وثبّطنا الشّعور بالمحال، عن المنافسة في الرّيادة، فاستسلمنا للواقع الذي جسّد بكلّ وضوح، معادلة الضّعيف المستهلك، والمكرّس لأسباب عجزه، أمام القويّ المنتج المصرّ على المضي في طريق تقدّمه، وهيمنته على العالم، وبذلك تكون ثقافة الاستهلاك سلاح ذو حدّين، فهي في العالم الغربي من عوامل القوّة، والازدهار والتقدّم، لأنّها تسهم في دفعه لزيادة الإنتاج، وتطويره، بينما هي في العالم الثالث، من عوامل الضّعف والتأخير، لأنّها تزيد من استهلاكه لمنتوجات غيره.

إنّ هذه الأساليب الماكرة التي استخدمتها العولمة لإدماج شعوب العالم في منظومتها، ضلّلت الشّباب، وأوقعت بهم في شراكها، ونفخت فيهم روح الاستسلام، والتّبعية وحبّبت إليهم الاعتزاز بالقيم الغربية، وجرّأتهم على الاستخفاف بمميزات هويتهم، ودفعتهم لخوض صراعات داخلية في مجتمعهم وزيّنت لهم الانحراف، فأضحوا من الضّائعين!.

ورغم كلّ محاولات العولمة لطمس الهوية الثقافية للشّعوب، وتعميم نموذج واحد للثقافة، فستبقى التعددية الثقافية صامدة في وجه العولمة، يقول محمّد عابد الجابري:" ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت، وتوجد، وستوجد ثقافات متعدّدة متنوّعة، تعمل كلّ منها بصورة تلقائية، أو بتدخّل إرادي من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوّماتها الخاصّة...من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسّع "(٢).

المبحث الثالث: تحدّي العولمة للأخلاق

إنّ الأخلاق لها أهمّية كبيرة في تماسك النسيج الاجتماعي، وحفظه من التلاشي والتفكّك، وتزويد الفرد بطاقة كبيرة للاستمرار في النّشاط والعطاء والإنتاج، فتتشكّل من روافد أخلاقيات المجتمع، قوّة لها قيمة كبيرة، ووزن ثقيل في صنع الحضارات، يقول مالك بن نبي: "ومن هنا ندرك سر القيمة التي خصّ بها (عالم الاجتماع) محمّد ﷺالفضائل الخلقية باعتبارها قوّة جوهرية في تكوين الحضارات. ولكن أوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدو الأمور ذات خطر كبير، فإذا ما حدث هذا الانقلاب انهار البناء الاجتماعي، إذ هو لا يقوى على البقاء بمقوّمات الفنّ والعلم والعقل فحسب، لأنّ الرّوح، والرّوح وحده، هو الذي يتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدّم، فحيثما فقد الرّوح سقطت الحضارة وانحطّت"(٣).

---

(١) العولمة بين منظورين، مجلة البيان، ص:٥٠

(٢) الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، مجلة فكر ونقد، الرباط، ١٩٩٨م، العدد:٦، ص:١

(٣) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى:١٩٨٦م، ص:٣٠-٣١

لقد كانت الأخلاق هيئة راسخة في نفس الإنسان، فتحوّلت في ظلّ العولمة إلى أخلاق تجارية، لا يتحلّى بها الإنسان إلا عند الحاجة، ثمّ ينزعها كما ينزع لباسه، فهو يبتسم لزبائنه، ليس رغبة في الثّواب من عند الله تعالى، بل ليربح أكثر من عملائه، ويتعامل بلباقة واحترام مع النّاس، حتّى لا تتأثّر تجارته.

لقد أهملت العولمة منظومة القيم الاجتماعية التي تدعو إلى تعاطف النّاس فيما بينهم، ومساعدة الآخرين، والاهتمام بمصالحهم، وشجّعت على نشر الأفكار السّلبية عن التمسّك بالأخلاق، وكسر الأنظمة الاجتماعية، وروّجت لمفهوم الغاية تبرّر الوسيلة، وحطّمت قيم الفطرة الإنسانية، ومن سلبياتها الخطيرة، تأثيرها على مايلي:

١– نظام الزواج

تعرّض نظام الأسرة في الإسلام إلى عواصف داخلية، وخارجية، ولولا أنّه قائم على أسس متينة، وقواعد محكمة، لتلاشى عقده، وانهار بناؤه، منذ زمن بعيد، ولأدّى ذلك إلى انهيار المجتمع، وهلاكه، يقول الشيخ الإبراهيمي: وإنّ صلاح الأمّة وفسادها، تابعان لصلاح الأسرة وفسادها"[(١)].

وقد شجّعت العولمة ثقافة الإباحية، والعلاقات غير الشّرعية، وامتدّ تأثيرها إلى نظام الزّواج، الذي يتحقّق به الاستقرار والأمن النّفسي، والحفاظ على بقاء النّوع الإنساني، وعمارة للأرض، واستمرار الحياة، والوقاية من الأمراض معتبرة الضّوابط الشّرعية له، والأعراف والتقاليد، قيودا بالية، ونظما رجعية، لا تتماشى مع التقدّم الذي يشهده العالم المعاصر واستغلّت الضّغوط الاقتصادية، والنّفسية، والاجتماعية، التي شكّلت عقبات كأداء، وصعوبات شديدة في طريق تحصّن الشّباب، وسعيه لتكوين أسر جديدة، وقامت بإشاعة الفوضى في ممارسة الرغبات والغرائز، وتزيين الرّذائل للشّباب واعتبار الفضائل كبتا، وعقدا نفسية، لابدّ من التخلّص منها، بالاختلاط بين الجنسين، والتعارف على طبائع بعضهما قبل الزّواج، لكسب الخبرة، من أجل نجاح العلاقة، وديمومة العشرة، وفي هذا المضمار يقول الدكتور عماد الدّين خليل: "وفي الجانب الاجتماعي تسعى العولمة إلى تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة، وكفالة حقوقهم في الظاهر إلا أنّ الواقع هو إفساد وتفكيك الأفراد واختراق وعيهم، وإفساد المرأة والمتاجرة بها واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، وبالتالي إشاعة الفاحشة في المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل وتعقيم النساء، وتأمين هذه السياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات ذات العلاقة:(مؤتمر حقوق الطفل)، (مؤتمر المرأة في بكين) (مؤتمر السكان)، وما تخرج به هذه المؤتمرات من قرارات وتوصيات واتفاقيات تأخذ صفة الدولية، ومن ثمّ الإلزامية في التنفيذ والتطبيق...وما تلبث آثار ذلك أن تبدو واضحة للعيان في الواقع الاجتماعي، استسلامًا وسلبية فردية وتفككًا أسريًا

(١) آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ٣/١٣٣–١٣٤

واجتماعيًا، وإحباطات عامة وشلل تام لدور المجتمع الذي تحول إلى قطيع مسير ومنقاد لشهوته وغرائزه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، متحللا من أي التزامات أسرية واجتماعية، إلا في إطار ما يلبي رغباته وشهواته وغرائزه"[١].

وهذا الفكر الباطل الذي يُقدّم في ثوب علمي زائف، ما كان ليؤثّر في الشّباب المسلم، لولا ضعف تديّنه، وفساد تنشئته الأسرية، واختلال بنائه النّفسي والمعرفي، وتعلّقه بالكمّ الهائل من البرامج الفكرية، والأنشطة العملية، التي كرّست الاختلاط وكسرت كلّ حواجز الحياء، في الرّأي، والمظهر، والكلمة، والسّلوك، واستماتة المستغربين في الدفاع عنه، والترويج له مما أدّى إلى سقوط الأخلاق، وانتشار العلاقات غير الشّرعية، والعزوف عن الزواج، وانحلال الأسرة، وتفكّك الرّوابط الاجتماعية، وارتفاع نسبة العنوسة، وانتشار الفساد.

٢– تسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية

ومن أساليب هذه العولمة، أنّها تسمّي الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، فتسمّي المجون فنّا، والرّبا فوائد، والخمر مشروبات روحية، والتديّن تعصّبا وتزمّتا، ومقاومة الاحتلال إرهابا، والإباحية تحرّرا، وتستخدم جميع وسائلها، لترويض النّفوس على هذه المفاهيم المقلوبة، لتصبح معيارا للاعتدال، والتحضّر!.

٣– التأثير على الأذواق

لقد استطاعت العولمة التأثير على أذواق النّاس، من خلال أمور كثرة منها:

أ– الفنّ

إنّ ميدان الفنّ صار حاضنا للأفلام التي تحرّض على العنف، والجريمة، والأفلام العاطفية التي خرّبت البيوت والأفلام الهابطة التي دمّرت النّفوس، والحفلات الماجنة التي أشاعت المعاصي، وكلّ هذه المساوئ تسمّى زورا بالفنون الرّاقية، ويلقّب أصحابها بالفنّانين، وأمّا المهرة فيها، فهم المشاهير والنّجوم! وتستقبلهم الجماهير بحفاوة كبيرة، ويلقون عندها احتراما وتقديرا!!.ولولا فساد الأذواق والقوانين، لأحيل هؤلاء إلى العدالة، ليحاكموا على أعمالهم المسيئة لغيرهم.

ب– الأزياء

ساهمت العولمة في اختفاء الملابس المحتشمة، والتضييق على الحجاب، وانتشار دور عرض الأزياء للنّساء والرّجال، ومسابقة ملكة الجمال، وإنشاء مجلات عديدة، وقنوات فضائية، متخصّصة في الترويج للأزياء الغريبة في مشط الشّعر، وقصّه، وتلوينه، وتصميم الملابس الجديدة الخادشة للحياء، كالمرقّعة، والضيّقة، والقصيرة، والشفّافة وعرض لبسها بطريقة فاضحة، والدعوة إلى الاحتفال بأعياد الغرب

(١) عماد الدين خليل، تحديات النظام العالمي الجديد، موقع الإسلام على الطريق.

ومناسباته، وترغيب الشّباب في عادات الغرب من وضع القلائد والصلبان في أعناقهم، والأساورة في أيديهم، والأقراط في آذانهم، وغزت هذه الظواهر العالم الإسلامي وكسرت أعرافه وتقاليده، وصار لها جمهورها الخاص، الحريص على المتشبّه بغير المسلمين.

ج- الأطعمة والأشربة

امتدّ تأثير العولمة إلى الأطعمة والأشربة، فرغب النّاس، وخاصّة الأطفال، والشّباب، عن الأطعمة والأشربة التي تعارفوا عليها، وأقبلوا على الأطعمة السّريعة التي تعدّها المطاعم الأجنبية التي انتشرت في العالم الإسلامي، والتي من أشهرها: مطعم كنتاكي، وهامبرجر، وماكدونالدز، وبيتزاهت، وغيرها، رغم أنّها ليست صحيّة، ومضرّة بالأطفال.

وقد كان لهذه الأذواق الجديدة، تأثير في انتعاش الاقتصاد الأجنبي، وكساد الاقتصاد الوطني، وانتشار البطالة في المجتمع، وما من سبيل للنّهوض بمجتمعنا، والمحافظة على أذواق النّاس، إلاّ بالتوعية المستمرّة، والتهذيب، والتصفية، والتطوير وترقية الأذواق إلى الأحسن، مطلب شرعي، لا عيب فيه، إنّما العيب حين تحيد هذه الأذواق عن الفطرة، وأصول الدّين، والأخلاق، وكم من أذواق تنتسب للإسلام، والإسلام براء منها.

و"قد ينبري بعض السذّج من النّاس فيقول: وأيّ خطر حقيقي يمكن أن يهدّد المسلمين إذا شاعت هذه المطاعم والأزياء والتقاليد والمنتجات الأوربية والأمريكية؟! والجواب: هو المثل الفرنسي المشهور الذي يقول: "أَخبرْني ماذا تأكل أُخبرْك مَن أنت!"؛ فالأزياء,والمطاعم، والمأكولات والمشروبات، وغيرها من المنتجات تجلب معها مفاهيم بلد المنشأ، وقيمه وعاداته ولغته، وذلك يوضح الصلة الوثيقة بين هذه المنتجات وبين انفراط الأسرة، وضعف التدين، وانتشار الكحول والمخدّرات، والجريمة المنظمة.وأيضا فإنَّ أي مطعم أو متجر من (الماركات) الغربية المشهورة يقام في بلادنا- ينهار أمامه عشرات المؤسسات الوطنية الوليدة، التي لا تملك أسباب المنافسة، ممّا يزيد من معدلات الفقر والبطالة"(١).

المبحث الرابع: تحدّي العولمة للبيئة

دعا الإسلام إلى التأمّل في الموجودات التي هي شاهدة على عظمة الخالق عزّ وجلّ، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٢).

---

(١) كامل الشريف، الشباب المسلم والعولمة، موقع العرب نيوز، الرابط:(http://alarabnews.com/alshaab/GIF/10-05-2002/a22.htm)

(٢) سورة الغاشية، الآية: ١٧-٢٠

وهذه الموجودات هي مظهر من مظاهر صناعة الله المتقنة، قال تعالى:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[١]، ووجودها جزء من نظام الكون الدقيق، القائم على التوازن البيئي البديع، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٢].

والإنسان مطالب بالحفاظ على مقدّرات الكون، وعدم إتلاف خيراته، والإبقاء على عناصر البيئة الطبيعة كما خلقها الله تعالى، دون أن تمسّها يده بالتغيير، أو تحدث فيها خللا، أوتؤثّر سلبا على توازنها، لأنّ هذا يعدّ من العدوان الذي نهى الله تعالى عنه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

والفساد في الأرض بغي تعود نتائجه الوخيمة على الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥].

و"الرّفق بالكون يعني التعامل معه تعاملا يقوم على الحفاظ على مقدراته، ونظمه وموجوداته، والحيلولة دون كلّ ماعسى أن يكون فيه إتلاف لها، أو تحريف عن غاياتها، في استتباب الحياة ونفع الإنسان"[٦]، وحمّل الإنسان مسؤولية الفساد الذي يصيب الكون فقال سبحانه وتعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[٧]، وقال أيضا:﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٨]

يقول الدكتور عبد المجيد النّجار:"ليس الفساد في الأرض يكون بإهلاك عناصر البيئة الطّبيعيّة إهلاكا مباشرا فحسب ولكن يكون الفساد أيضا بتلويث البيئة تلويثا تقذف فيه عناصر مسمومة تستحضر استحضارا أو تنجم بالإهمال والتراكم، فإذا بها تفضي إلى تعطيل العناصر الكونية الطّبيعيّة، في ذواتها أوكيفياتها وروابطها عن أن تؤدّي دورها النّفعي، بل قد تحوّلها إلى عناصر وكيفيات مسمومة هي بذاتها فإذا أداؤها للنّفع يتحوّل إلى إضرار بحياة الإنسان أو إعاقة عن القيام بدوره في التعمير"[٩].

(١) سورة النّمل، الآية: ٨٨
(٢) سورة الحجر، الآية: ١٩
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٤، وفي سورة العنكبوت، الآية: ٣٦، وسورة هود، الآية: ٨٥، وسورة الشّعراء، الآية: ١٨٣
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦
(٥) سورة يونس، الآية: ٢٣
(٦) النّجار، عبد المجيد، الدكتور ، فقه التحضّر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، ص:١٥٧
(٧) سورة الرّوم، الآية: ٤١
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥
(٩) فقه التحضّر، ص:١٦٣

إلاّ أنّ حركة الإنسان غير المتوازنة في ظلّ العولمة، تنذر بخطر شديد، يتهدّد هذا التوازن، لأنّ العلاقة بين عناصر البيئة متكاملة، والإضرار بأيّ عنصر من مكوّناتها يحدث خللا في الطبيعة، وقد مثّلت الثورة الصناعية التي شهدها الغرب، تحدّيات كبيرة للبيئة، حيث ألحقت أضرارا كثيرة بحياة الإنسان، وبالعناصر الطبيعية التي وجدت لتعمير الأرض، واستمرار الحياة، فكثرة المصانع، ومحطّات توليد الطّاقة، ووسائل النّقل، والنّفايات السّامة، والحروب وغيرها، نجم عنها تلوّث الهواء، والماء، والتربة، وارتفاع حرارة الأرض، وتسبّبت زيادة الغازات السّامة في التأثير سلبا على طبقة الأزون التي هي الدرع الواقي للأرض من الأشعة فوق البنفسجية الضّارة بكثير من العناصر الطّبيعية في الأرض، وأدّى الإفراط في استهلاك الموارد الطّبيعية إلى تناقص كبير في مساحة الغابات، والمناطق الرّعوية، وتربة سطح الأرض، وانخفاض مستوى المسطّحات المائية، وانقراض بعض الحيوانات، والنّباتات، وظهرت الأسلحة النّووية، والكيمائية، والبكتيرية التي تشكّل خطرا كبيرا يتهدّد العالم بأسره، وهذه التحديّات الكبيرة، نتجت عنها مشكلات كثيرة منها:

التلوّث البيئي، وانجراف التربة، وانخفاض منسوب المياه الجوفية، والفيضانات، والتصحّر، والفقر، والبطالة، والهجرة والأمراض المزمنة، والصّراعات، وتفشّي الجريمة، والاحتباس الحراري، والسّباق في التسلّح، والتفاوت الكبير بين الشّمال المتقدّم، والجنوب النّامي.

إنّ هذه المشكلات الخطيرة، تهدّد أمن المجتمع، واستقراره، وتؤدّي إلى النّزاعات والحروب، ولكي يتمّ التغلّب على تحدّيات العولمة للبيئية، لابدّ من تحقيق أمور مهمّة منها:

١- نشر الوعي بمخاطر سلبيات التكنولوجيا.

٢- الاستجابة لتضامن عالمي في مواجهة تحدّيات العولمة.

٣- الالتزام بحفظ أمن البيئة.

٤- التركيز على الموارد المتجدّدة، والحفاظ عليها.

٥- تطوير الأبحاث في استخدام الطاقات البديلة[1].

المبحث الخامس: دور الشّباب في مواجهة تحديات العولمة

إنّ الشّباب هو مستقبل الأمّة الزّاهر، نظرا لما يتمتّع به من قوة بدنية، وقدرات عقلية، وخصائص نفسية، وطموحات عالية، وسرعة في الإنجاز، وقدرة على التغيير، ولا تقلّل من شأنه بعض الصفات السّلبية التي تدفعه إلى التمرّد على الأوضاع، ورفض الوصاية عليه، والنّظر للأمور نظرة جزئية، والتسرّع في إطلاق الأحكام الصّارمة، فهو مع ذلك قادر على التحدّي، والمنافسة في الريادة، وتحقيق ما

---

(١) مثل: (الطاقة الشمسية، والخلايا الضوئية، والمحطات الشمسية الحرارية، السخّانات الشمسية، وطاقة الرّياح، وطاقة المساقط المائية، وطاقة المدّ والجزر، وغيرها).

هو أفضل، ولكي يكون دوره فعّالا في مواجهة التحدّيات، والتمييز بين إيجابيات العولمة التي تتقاطع مع عالمية الإسلام، وبين سلبياتها الخطيرة، لابدّ من أن يتحلّى بمواصفات أساسية، ومنها:

١- فهم الإسلام فهما صحيحا، كما نصّت عليه أصوله ومنابعه.

٢- الالتزام بالإسلام عقيدة ومنهجا وسلوكا.

٣- الدّفاع عن الإسلام، وتطهير ساحته مما ليس منه، وقد خاطب الشيخ الإبراهيمي الشّباب، مبيّنا لهم واجبهم في تطهير ساحة الإسلام من الأباطيل، والدّفاع عنه، فقال:" إنّ دينكم شوّهتْه الأضاليل، وإنّ سيرة نبيّكم غمرتها الأباطيل وإنّ كتابكم ضيّعته التآويل، فهل لكم يا شباب الإسلام أن تمحوا بأيديكم الطاهرة الزيف والزيغ عنها، وتكتبوهُ في نفوس النّاس جديدًا كما نزل، وكما فهمه أصحاب رسول الله عن رسول الله، إنّكم قد اهتديتم إلى سواء الصراط فاهدوا إلى سواء الصراط، إنّكم لو عبدتم الله اللّيل والنّهار، لكان خيرًا من ذلك كلّه عند الله وأقرب زلفى إليه، أن تجاهدوا في سبيله بهداية خلقه إليه"[١].

٤- المنافسة في كسب العلوم والمعارف العصرية، التي صارت تشكّل ميزان القوّة في عصرنا، والسّابق إليها، المتقدّم فيها، يكون هو الأقوى، ويفرض هيمنته على بقيّة شّعوب العالم، والشّباب هم الأمل في كسب هذه التكنلوجيا المتطوّرة وتحرير الأمّة من رقّ الهيمنة الغربية، وتحقيق النّصر والريادة، ولعلّ التجربة اليابانية جديرة بالتأمّل والدراسة، حيث استطاع اليابان بعد الدّمار الكبير الذي لحقه في الحرب العالمية، أن ينهض من جديد، دون أن يتخلّى عن منظومة قيمه وفي زمن قياسي، أصبح من أكبر المنافسين في العالم المتقدّم.

٥- الانفتاح على كلّ ما هو جديد، ومواكبة التطوّر، في حدود الضّوابط الشّرعية، لأنّ اختيار موقف الانغلاق على الذّات أمام العلمنة، يفوّت على الأمّة الاستفادة من إيجابياتها الكثيرة، ويجعل الشّباب غريبا في عصره، عاجزا عن مواكبته

وهذه الصّفات ينبغي تعزيزها بمنهجيّة دقيقة في معاملة الشّباب، تتمثّل فيما يلي:

١ – التنشئة الصّالحة للشّباب

إنّ البناء المعمّر لا يقوم إلا على أسس متينة، وجدران متماسكة، وتقوية صلة الشّباب بالله تعالى، وتذوّقهم حلاوة عبادته، وغرس الخوف منه في قلوبهم، والمداومة على ذكره، والالتزام بطاعته، يجعل بناءهم النّفسي متماسكا، صامدا في وجه العواصف الهوجاء، مقاوما لكلّ حملات الفساد التي تستهدفه، ولا تمتدّ إلا في الفراغ الرّوحي، يقول الشيخ الإبراهيمي: "وإنما لكبيرة أن ينشّأ الشابّ على الخير والاتصال بالله من الصّغر، ولكن جزاءها عند الله أكبر، لما يصحبها من مغالبة للهوى في لجاجه

(١) آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ٢٧١/٤

وطغيانه، ومجاهدةٍ للغريزة في عنفوانها وسلطانها، ولهذا السرّ عدّ ﷺ الشّاب الذي ينشأ في طاعة الله أحد السّبعة الذين يظلّلهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه"(١).

إنّ تربية الشّباب على مجاهدة النّفس، تحفظ لهم طهارة قلوبهم وأرواحهم، وتجعلهم يراقبون الله تعالى في السرّ والعلن ويبتغون مرضاته، وتعلّمهم أنّ مسؤولية تزكية نفوسهم، هي من واجباتهم التي إن قاموا بها، أفلحوا، وإن ضيّعوها خسروا، قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(٢).

وتحذّرهم من عواقب الانحراف، واقتراف المعاصي، لأنّها تنكت في القلب نكتا سوداء، مكوّنة غمامة تقف حاجزا بينه وبين رؤية الحقّ، وتزيّن له الباطل، قال تعالى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٣).

٢ – تجديد مناهج التربية والتعليم

إذا أردنا أن نفهم حاضر الأمّة، أو نستشرف مستقبلها، فلننظر إلى مناهج التربية والتعليم فيها، فإذا كانت هذه المناهج هشّة ضعيفة، لا تلبّي تطلعات الأمّة، ولا تمدّها بعناصر القوّة، فإنّها تنتج جيلا سهل الاختراق، لايستطيع حماية قيمه ولا الصّمود في وجه غزاته، يعيش في الحياة خبط عشواء، تتقاذفه الأفكار يمينا وشمالا، لا يفهم حاضره، ولا يقدر على الاستمرار والتطوّر.

لذا ينبغي جعل المناهج التعليمية من الأولويات الكبرى للأمّة، وإعدادها وفق منظومة القيم الإسلامية، التي تكوّن الفرد تكوينا متكاملا، في العقيدة، والفكر، والسّلوك، والاهتمام بتطوير المناهج، وجعلها تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتميّز بين الثابت والمتحوّل، وتسمو بقدراته العقلية، وتزوّده بمعارف العصر وعلومه، وتعلّمه مهارات التفكير، وتؤهله للنّقد والإبداع، وبذلك يكون الفرد الذي يتربّى على هذا المنهج، متحرّرا من دائرة السّلبية، متحصّنا، ثابتا قويا، يخوض معترك الحياة بكلّ ثقة وجدارة، مستخدما نفس وسائل العولمة لحماية نفسه، والتعريف بهويته، محقّقا لنفسه آماله، ولأمّته طموحاتها.

٣ – التحرّر من النّظرة الدّونية للشّباب

إنّ تحرير الخطاب من آفة النّظرة الدّونية للشّباب، أمر في غاية الأهمّية، لأنّ هذه النّظرة ليست عادلة، وتوهم الشّباب ببعد الأجل، فيقبل على الدنيا، ويتقاعس عن الآخرة، وتزيد من هوّة الخلاف بين الشيوخ والشّباب، وتقزّم دورهم وتعفيهم من تحمّل المسؤولية، وتحرم المجتمع من مشاركتهم القويّة، في تنميته ونهضته.

---

(١) آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ٤/٢٧٠

(٢) سورة الشّمس، الآية: ٧–١٠

(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤

ورغم أنّ نسبة الشّباب في المجتمع، هي الأعلىٰ في الفئات العمرية، إلا أنّهم في واقع الأمر ليس لهم حضور في مواقع المسؤولية، والمشاركة في صنع القرار، لأنّ النّظرة الدونية لهم، أفرزت سياسة إقصائية جعلتهم علىٰ هامش الحياة، وهذه الأخطاء الفادحة التي لها مردود سلبي علىٰ الشّباب ومستقبل الأمّة، شملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية، ابتداء من الأسرة التي تقف فيها العادات والتقاليد، مانعاً من منح الشباب مجالا للمشاركة في إدارة أمورها، لذا ينبغي التركيز علىٰ تعيين الشّباب في مواقع المسؤولية والقرار، وإشراكهم في التفكير، والتخطيط، والتغيير، ليكونوا في مستوىٰ مواجهة التحدّيات، وهذا هو الطريق الصّحيح الذي يجنّب المجتمع، مشكلات كبيرة، ويقوده إلىٰ خير كثير.

٤ – توفير فرص العمل للشباب

إنّ فئة الشّباب هي أكثر الفئات العمرية معاناة من البطالة، وتوفير فرص التوظيف لهم، يشعرهم بالاهتمام، وينمّي مشاعر الأمل في نفوسهم، ويحميهم من الكراهية، والعدوان، ويدفعهم للانخراط في الحياة الاجتماعية، والمشاركة الإيجابية فيها، وهناك أمور كثيرة تسهم في محاصرة هذه الظاهرة، والحدّ من انتشارها، ومنها:

١– توظيف الشّباب في الدوائر الحكومية.

٢– التنسيق بين الدّولة والمؤسّسات الخيرية، والقطاع الخاص، لتوفير فرص العمل.

٣– توظيف الشّباب في البيئة الاجتماعية: كالمؤسسات الخيرية، والأعمال التطوعية، والنّوادي الثقافية، والرياضية والترفيهية، والبرامج الموسمية.

٤– تفعيل دور المسجد، والزوايا والكتاتيب، ودور التحفيظ، ودور الأيتام والمشرّدين، ومؤسّسات الوقف، والتشجيع علىٰ إحياء الموات، والقرض الحسن، وهذه المؤسّسات الاجتماعية توفّر فرصا كثيرة لتوظيف الشّباب.

٥– حثّ المصارف وبيوت التمويل علىٰ مساعدة مشاريع الشّباب، والعناية بها.

٥ – الاهتمام بالتنمية البشرية للشّباب

إنّ الشّباب هم الثروة الحقيقية في كلّ الأمم، والتنمية البشرية هي عملية تهتمّ بتحسين الموارد البشرية، وتركّز علىٰ الفرد لأنّه جوهر عملية التنمية، وتساعده في تطوير ذاته، ورفع مستوىٰ كفاءته، وتوسيع قدراته إلىٰ أقصىٰ ما يمكن، ثمّ توظيفها أحسن توظيف في جميع مجالات الحياة، لتحقيق حياة أفضل له، ولمجتمعه، وذلك من خلال برامج التدريب المتنوعة التي تكسب الشّباب المهارات، والعلوم المتطورة، وتعلّمهم التفكير المنهجي، والتخطيط السّليم، والمشاركة الإيجابية في المجتمع، وتحمّل المسؤولية، وتعزّز فيهم القدرة علىٰ الحوار، وتنمّي فيهم روح الإبداع والبحث العلمي والتعامل الرّشيد مع الأزمات، والابتلاءات، والقدرة علىٰ حلّ المشكلات، ومواجهة التحديّات.

الخاتمة

نتائج البحث

١- ضرورة إعداد خطة متكاملة لإشراك الشباب في نهضة المجتمع.

٢- المناهج التعليمية المتطورة في إطار المبادئ الإسلامية، لها دور كبير في المحافظة على الهوية.

٣- قدرة عالمية الإسلام، على مواجهة تحديات العولمة.

٤- ضرورة التوعية بنظام الأسرة في الإسلام.

٥- لانجاح في مواجهة تحديات العولمة، بدون التركيز على التغيير الداخلي.

٦- ضرورة ضبط المصطلحات، والانتباه لها.

التوصيات

١- قراءة العولمة قراءة صحيحة، وتمييز إيجابياتها من سلبياتها.

٢- تربية الشّباب تربية متكاملة.

٣- تطوير وسائل التعليم ومناهجه في إطار منظومة القيم الإسلامية.

٤- توسيع نطاق مشاركة الشّباب في المواقع القيادية.

٥- ضرورة تطوير المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، ومتابعة التغيرات العالمية.

٦- المنافسة في كسب معارف العصر، وعلوم التكنلوجيا.

٧- تكثيف الدورات، والبرامج التدريبية لتطوير قدرات الشباب.

٨- تأسيس مراكز خاصة يشرف عليها علماء ومفكرون، لمتابعة كلّ ما يتعلّق بالأسرة، وحمايتها من الغزو الفكري.

٩- وضع سياسة إعلامية مشتركة بين دول العالم الإسلامي، للتعريف بالإسلام، ومواجهة تحديات العولمة.

وصلّى الله تعالى على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

